
منشورات مركز الإمام مالك الإلكتروني
مداخل العلوم الشرعية
من المقدمة الخلدونية
التفسير والقراءات والرسم، علوم الحديث، علم الفقه، علم الفرائض
علم أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات
اعتنى بها وعلق عليها
إسماعيل بن الطاهر رحماني الجزائري

مداخل العلوم الشرعية

من المقدمة الخلدونية

التفسير والقراءات والرسم، علوم الحديث، علم الفقه، علم الفرائض،
علم أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات

اعتنى بها وعلق عليها

إسماعيل بن الطاهر رحماني

مقدّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه مداخل إلى العلوم الشرعية؛

- مدخل إلى التفسير والقراءات والرسم.
- مدخل إلى علوم الحديث.
- مدخل إلى علم الفقه.
- مدخل إلى علم الفرائض.
- مدخل إلى علم أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات.

استخرجت هذه المداخل من تاريخ ابن خلدون الشهير بـ: (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، الكتاب الأول: (في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب)، الباب السادس: (في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال)، الفصل الخامس إلى الفصل التاسع.

وقد وسمتها بعد أن استوت على سوقها بـ: **مداخل العلوم الشرعية من المقدمة الخلدونية.**

وأما منهجي في إخراجها فتمثل في الآتي:

- نسخت النصوص من الكتاب أعلاه، مع ضبط ما يحتاج إلى ضبط.
- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ورقم آيها بعد الآية مباشرة، مع كتابة الآية بخط ثخين مضبوطة بالشكل.
- خرّجت الأحاديث الواردة في النصوص، مع نقل الحكم عليها إن كانت خارج الصحيحين والموطأ.

- وضعت عناوين موضّحة لهذه المداخل لتيسير فهم المراد على القارئ.
- عرّفت بالمصطلحات المحتاجة إلى بيان؛ خاصة ما تعلق منها بالعلم المقصود.
- عرّفت بالكتب الوارد ذكرهم في النصوص.
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في النصوص.
- علّقت على بعض المسائل المحتاجة إلى ذلك.
- نبهّت في بداية كل مدخل إلى الكتب التي استفادت من ابن خلدون في هذا الفصل، سواء بالنقل عنه في معرض الموافقة أو الرد، أو مجرد الإشارة والإحالة عليه، وسواء نقل ذلك مؤلف الكتاب أو المحقق.

وفي الأخير أسأل الله عز وجلّ أن ينفع بهذا العمل، وأن يكتب له القبول، إنه خير مسؤول، والحمد لله رب العالمين.

كتبه: إسماعيل بن الطاهر رحماني

الطيبات من بلاد الجزائر المحروسة

الإثنين 19 من جمادى الأخرة 1445هـ

الموافق لليوم الأول من جانفي 2024م.

(1) المدخل إلى علم: التفسير، القراءات والرسم

هذا الفصل الخامس من الباب السادس من مقدمة ابن خلدون لكتابه المسمى (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، وقد عنونه المؤلف رحمه الله بقوله (الفصل الخامس في علوم القرآن من التفسير والقراءات).

ولقد استفاد من ابن خلدون في هذا الفصل عدة مؤلفين في كتبهم، منها:

- جامع البيان في القراءات السبع للداني، قسم الدراسة
- مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود، قسم الدراسة
- دليل الحيران على مورد الظمآن للمارغني، قسم الدراسة
- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني
- التفسير والمفسرون للذهبي
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبه
- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان
- الحديث في علوم القرآن والحديث لحسن محمد أيوب
- نفحات من علوم القرآن لمحمد أحمد محمد معبد
- مناهج المفسرين لمنيع بن عبد الحليم محمود
- من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) لمحمد سعيد رمضان البوطي
- في علوم القرآن دراسات ومحاضرات لمحمد عبد السلام كفافى وعبد الله الشريف
- ورد الطائف في شرح روضة الطرائف في رسم المصحف للجعبري لمحمد عبد الله إبراهيم البركاتي
- المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم لعبد الرحمن بن محمد الحجيلي

- عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم لسليمان بن إبراهيم بن محمد العايد
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله يوسف الجديع
- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه لعدنان محمد زرزور
- منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير لنبيل أحمد صقر
- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره لمحمد علي الحسن
- معجم علوم القرآن لإبراهيم محمد الجرمي
- محاضرات في علوم القرآن لغانم قدوري الحمد
- التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا لمحمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني
- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية لحسين بن علي بن حسين الحربي

وغير هذه الكتب كثير جدا.

وإليك أيها القارئ الكريم المداخل إلى القراءات والرسم والتفسير كما ورد عند ابن خلدون، وهي الآتي:

1- علم القراءات:

أ- تعريف القرآن:

قال رحمه الله تعالى:

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيّه صلى الله عليه وسلم المكتوب بين دفّتي المصحف.

ب- طريقة نقل القرآن ونشأة القراءات:

قال رحمه الله تعالى:

وهو متواتر بين الأمّة، إلّا أنّ الصّحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيّات الحروف في أدائها، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرّت منها سبع طرق معيّنة، تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصّت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجمّ الغفير، فصارت هذه القراءات السّبع[1] أصولا للقراءة، وربّما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسّبع[2]، إلّا أنّها عند أئمة القراءة لا تقوى قوّتها في النّقل[3]، وهذه القراءات السّبع معروفة في كتبها.

ج- الاختلاف في تواتر القراءات:

---

[1] وهذه السبعة هي: قراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم بالمدينة، وقراءة عبد الله بن كثير بمكة، وقراءة عاصم بن أبي النجود، وقراءة حمزة بن حبيب الزيات، وقراءة علي بن حمزة الكسائي، ثلاثتهم بالكوفة، وقراءة أبي عمرو بن العلاء بالبصرة، وقراءة عبد الله بن عامر بالشام. (ينظر: القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، مؤسسة البلاغ للبحوث والدراسات، باب الزوار الجزائر، ص71-73).

[2] وهذه ثلاثة هي: قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع بالمدنية، وقراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي بالبصرة، وقراءة خلف بن هشام ببغداد. (ينظر: القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، ص71-73).

[3] "الحق الذي لا محيد عنه أنّ شهرة القراءات السبع لا ينبغي أن تطغى على قراءات الأئمة الثلاثة، والتي أثبت الإمام ابن الجزري تواترها. وأنها لا فرق بينها وبين السبع، وقد جمع أسانيدها واستدلّ بما لا مجال للشك بعده على تواترها وثبوتها، وقد تبعه على ذلك مَن جاء بعده، وسار على ذلك أمر الإقراء في العالم الإسلامي كلّه، واستقر الأمر على تلقي الجميع بالقبول، وعدّ جامع العشر زائدا في الفضل على المقتصر على السبع، وقد قرر ذلك بحجج دامغة وبتفصيل كاف الإمام المذكور في غير ما موضع من نشره ومنجده". (القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، ص217).

قال رحمه الله تعالى:

وقد خالف بعض النّاس في تواتر طرقها؛ لأنّها عندهم كيفيّات للأداء، وهو غير منضبط، وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن[4]، وأباه الأكثر وقالوا بتواترها، وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها كالمدّ والتّسهيل[5]؛ لعدم الوقوف على كيفيّته بالسّمع، وهو الصّحيح.

---

[4] "إن القرآن يشترط لثبوته التواتر بإجماع، والقراءات ملازمة للقرآن فلا يتصوّر منفكّا عنها، فكيف يثبت هو متواترا وتكون هي غير متواترة". (القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، ص214).

[5] وهو قول مشهور مستفيض عن ابن الحاجب ومن تبعه من الأصوليين*، ولقد رد عليهم جمع من العلماء وقالوا بأنّ:

أ- "اللفظ والأداء شيئان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر"**، "وإذا ثبت تواتر ذلك كان تواتر هذا من باب أولى، إذ اللفظ لا يقوم إلا به، أو لا يصح إلا بوجوده وقد نص على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كالقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني في كتابه الانتصار وغيره، ولا نعلم أحدا تقدم ابن الحاجب إلى ذلك والله أعلم"***.

* ينظر: القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، ص204-205.

** القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، ص206.

*** النشر في القراءات العشر، محمد ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، 30/1.

ب- "إن ما ذكره من مستثنيات ثبت تواتره كغيره ... ودعوى عدم تواترها لا دليل عليها، وفيها نفي ما ثبت بالدليل، والمثبت مقدّم على النافي"*، " فهذه أقسام المد العرضي أيضا متواترة لا يشك في ذلك إلا جاهل، وكيف يكون المد غير متواتر وأجمع الناس عليه خلفا عن السلف؟ فإن قيل: وقد وجدنا القراء في بعض الكتب كالتيسير للحافظ الداني وغيره جعل لهم فيما مد للهمز مراتب في المد إشباعا وتوسطا وفوقه ودونه وهذا لا ينضبط إذ المد لا حد له وما لا ينضبط كيف يكون متواترا؟ قلت نحن لا ندعي أن مراتبهم متواترة وإن كان قد ادعاه طائفة من القراء والأصوليين بل نقول: إن المد العرضي من حيث هو متواتر مقطوع به قرأ به النبي صلى الله عليه وسلم وأنزله الله تعالى عليه وأنه ليس من قبيل الأداء فلا أقل من أن نقول: القدر المشترك متواتر، وأما ما زاد على القدر المشترك كعاصم وحمزة وورش فهو إن لم يكن متواترا فصحيح مستفاض متلقى بالقبول ومن ادعى تواتر الزائد على القدر المشترك فليبين"**، "وأما تخفيف الهمز*** ونحوه ... فمتواتر قطعا معلوم أنه منزل من الأحرف السبعة ومن لغات العرب الذين لا يحسنون غيره ... وكيف يكون ما أجمع عليه القراء أمما عن أمم غير متواتر؟ وإذا كان المد وتخفيف الهمز والإدغام غير متواتر على الإطلاق، فما الذي يكون متواترا أقصر "آلم" و"دابة" و"أولئك" الذي لم يقرأ به أحد من الناس أم تخفيف همزة "آلذكرين" "الله" الذي أجمع الناس"****.

* القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، ص206.

د- رواية القراءات وتدوينها، وأبرز المعتنين بها وأهم الكتب المؤلفة فيها:

قال رحمه الله تعالى:

ولم يزل القرّاء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودوّنت، فكتبت فيما كتب من العلوم، وصارت صناعة مخصوصة وعلما منفردا، وتناقله النّاس بالمشرق والأندلس في جيل بعد جيل، إلى أن ملك بشرق الأندلس مجاهد[6] -من موالي العامريّين- وكان معتنيا بهذا الفنّ من بين فنون القرآن؛ لمّا أخذه به مولاه المنصور بن أبي العامر[7]، واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمّة القرّاء بحضرته، فكان سهمه في ذلك

** منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد ابن الجزري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م، ص73.

*** تخفيف الهمز يكون بـ: النقل، الإبدال، التسهيل، الإسقاط.

**** منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد ابن الجزري، ص74.

ج- "قول ابن الحاجب (فيما ليس من قبيل الأداء) صحيح لو تجرد عن قوله كالمد والإمالة لكن تمثيله بهما أوجب فساده"*، " فإنه إذا ثبت أن شيئا من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم كتقسيم وقف حمزة وهشام وأنواع تسهيله فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتواتر أنه وقف على موضع خمسين وجها ولا بعشرين ولا بنحو ذلك وإنما إن صح شيء منها فوجه والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء"**.

* منع الموانع عن جمع الجوامع، عبد الوهاب السبكي، تحقيق: سعيد الحميري، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م، ص336-337.

** منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد ابن الجزري، ص75.

[6] هو مجاهد بن يوسف (أو عبد الله) بن علي العامري، بالولاء، أبو الجيش: مؤسس الدولة العامرية في دانية وميورقة وأطرافهما، رومي الأصل، ولد بقرطبة، ورباه المنصور بن أبي عامر مع مواليه فنسب إليه، وكان حازما يقظا شجاعا، عارفا بالأدب وعلوم القرآن، نعته بعض مؤرخيه بفتى أمراء دهره وأديب ملوك عصره، وهو من ملوك الطوائف بالأندلس بعد انقراض الدولة الأموية، توفي سنة 436هـ. (ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002م، 278/5).

[7] هو عبد الرحمن بن محمد أبي عامر المنصور ابن أبي عامر المعافري، أبو المطرّف، ويلقب بشنجول، حاجب الخليفة هشام بن الحكم بقرطبة، وآخر العامريين، ولي الحجابة بعد وفاة أخيه المظفر عبد الملك سنة 399هـ، وتلقب بالناصر ثم بالمأمون، وطلب من الخليفة هشام أن يوليه العهد من بعده، فولاه هشام ذلك لضعفه، فأضيف إلى ألقابه وليّ عهد المسلمين، قتل ذبحا سنة 400هـ. (ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، 365/3).

وافرا، واختصّ مجاهد بعد ذلك بإمارة دانية والجزائر الشّرقيّة فنفقت بها سوق القراءة لمّا كان هو من أئمّتها، وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقراءات خصوصا، فظهر لعهده أبو عمرو الدّانيّ[8]، وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها، وانتهت إلى روايته أسانيدها وتعدّدت تآليفه فيها، وعوّل النّاس عليها وعدلوا عن غيرها، واعتمدوا من بينها كتاب التّيسير له[9]، ثمّ ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والأجيال أبو القاسم بن فيرّه[10] من أهل شاطبة، فعمد إلى تهذيب ما دوّنه أبو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كلّه في قصيدة[11]،

---

[8] وهو عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني الأموي مولاهم القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلامة الحافظ أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين، من كتبه التيسير وجامع البيان والمقنع وطبقات القراء، توفي بدانية يوم الاثنين منتصف شوال سنة 444هـ. (ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، محمد ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، 1/503-505).

[9] اسمه التيسير في القراءات السبع، اشتهر هذا الكتاب في الأندلس والمغرب شهرة عظيمة وصار الطلبة يحفظونه ويروونه ويقرؤون القرآن بمضمنه، ومما زاد في شهرة التيسير وسهل انتشاره بين الناس أن الشاطبي قد ضمنه في منظومته حرز الأماني. (ينظر: مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة وآخران، دار عمار، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، ص168).

[10] هو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد أبو القاسم وأبو محمد الشاطبي الرعيني الضرير، الإمام العلامة، أحد الأعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار، كان إمامًا كبيرًا أعجوبة في الذكاء كثير الفنون آية من آيات الله تعالى غاية في القراءات حافظًا للحديث بصيرًا بالعربية إمامًا في اللغة رأسًا في الأدب، له قصيدتان اللامية (حرز الأماني المعروفة بالشاطبية الكبرى) والرائية (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المطالب المعروفة بالشاطبية الصغرى)، توفي رحمه الله تعالى في 28 من جمادى الآخرة سنة 590هـ بالقاهرة، ودفن بالقرافة. (ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، محمد ابن الجزري، 2/20-23).

[11] اسمها حرز الأماني ووجه التهاني المعروفة بالشاطبية الكبرى وباللامية. مكونة من 1173 بيتا من البحر الطويل. وقد ضمّنها الشاطبي كتاب التيسير للداني وأضاف إليه بعض الخلافات وهي الكلمات التي عرفت فيما بعد باسم «زيادات القصيد» أي ما زادته القصيدة الشاطبية على ما في التيسير. وهذه القصيدة وضع لها ناظمها مصطلحا خاصا واستخدم فيه الرموز للدلالة على القراء وطريقة عزو القراءات إليهم، فصار من يحفظها ويعرف شرحها وفك رموزها قادرا على الإحاطة باختلاف القراء السبعة ورواتهم أصولا وفرشا. لها شروح كثيرة منها: فتح الوصيد في شرح القصيد لعلم الدين السخاوي، وإبراز المعاني من حرز المعاني لأبي شامة المقدسي، وسراج القارئ المبتدي لابن القاصح، وإرشاد المريد إلى مقصود القصيد للضباع. لها مختصرات منها: حرز المعاني لابن مالك النحوي، ونظم درر الجلا لعبد الوهاب ابن وهبان

لغز فيها أسماء القرّاء بحروف (أب ج د)، ترتيبا أحكمه ليتيسّر عليه ما قصده من الاختصار، وليكون أسهل للحفظ لأجل نظمها، فاستوعب فيها الفنّ استيعابا حسنا، وعني النّاس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلّمين، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس.

الدمشقي. (ينظر: مقدمات في علم القراءات، محمد القضاة وآخران، ص168-169. القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، ص77-78).

قال ابن الجزري عنها: "ومن وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصًا اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها، ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن بل أكاد أن أقول: ولا في غير هذا الفن فإنني لا أحسب أن بلدا من بلاد الإسلام يخلو منه بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به، ولقد تنافس الناس فيها ورغبوا من اقتناء النسخ الصحاح بها إلى غاية حتى إنه كانت عندي نسخة باللامية والرائية بخط الحجيج صاحب السخاوي مجلدة فأعطيت بوزنها فضة فلم أقبل، ولقد بالغ الناس في التغالي فيها وأخذ أقوالها مسلمة واعتبار ألفاظها منطوقًا ومفهومًا حتى خرجوا بذلك عن حد أن تكون لغير معصوم وتجاوز بعض الحد فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع، وأن ما عدا ذلك شاذ لا تجوز القراءة به". (غاية النهاية في طبقات القراء، 22/2).

2- علم الرسم:

أورد ابن خلدون في علم الرسم: تعريف فن الرسم، الحاجة لهذا الفن، المؤلفات فيه، فقال ابن خلدون رحمه الله تعالى:

... وربّما أضيف إلى فنّ القراءات فنّ الرّسم أيضا، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطّيّة؛ لأنّ فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخطّ، كزيادة الياء في **{بِأَيْيدٍ}** [الذاريات: 47] وزيادة الألف في **{لَأَاذْبَحَنَّهُ}** [النمل: 21] **{وَلَأَاوْضَعُوا}** [التوبة: 47][12] والواو في **{جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ}** [المائدة: 31] وحذف الألفات في مواضع دون أخرى، وما رسم فيه من التّاءات ممدودا والأصل فيه مربوط على شكل الهاء، وغير ذلك، وقد مرّ تعليل هذا الرّسم المصحفيّ عند الكلام في الخطّ[13]. فلمّا جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخطّ وقانونه احتيج إلى حصرها، فكتب النّاس فيها أيضا عند كتبهم في العلوم، وانتهت بالمغرب إلى أبي عمر الدّانيّ المذكور، فكتب فيها كتبا من أشهرها كتاب المقنع[14]، وأخذ به النّاس وعوّلوا عليه، ونظمه أبو القاسم الشّاطبيّ في قصيدته المشهورة على

---

[12] ولأوضعوا في بعض المصاحف بغير ألف، وفي بعضها ولأوضعوا بالألف. (مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود سليمان بن نجاح، 379/2).

[13] ذكره في الفصل الثلاثين من الباب الخامس، تحت عنوان (في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية).

[14] واسمه الكامل: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ويُعد هذا الكتاب من أهم الكتب المتقدمة في علم الرسم، وقد اعتمد فيه على المصاحف الأمهات العتيقة، والروايات عن أئمته ومشايخه، وكتب من تقدمه، لذا اشتهر كتابه شهرة طبقت الآفاق، فلا يذكر علم الرسم إلا والمقنع في طليعة كتبه، بل هو العمدة في ذلك، لذا حرص عليه كتّاب المصاحف وطلاب العلم والمشتغلون بالقرآن ورسمه فتناقلوه واستشهدوا به ونقلوا منه وتأثروا به. (ينظر: زيادات عقيلة الإمام الشاطبي على مقنع الحافظ الداني، خلود بنت عبد العزيز المشعل، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، السعودية، العدد 36، ربيع الثاني 1441هـ-نوفمبر 2019م، ص230).

رويّ الرّاء[15]، وولع النّاس بحفظها، ثمّ كثر الخلاف في الرّسم في كلمات وحروف أخرى، ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح[16] من موالي مجاهد[17] في كتبه[18]، وهو من تلاميذ أبي عمرو الدّانيّ، والمشتهر بحمل علومه ورواية كتبه، ثمّ نقل بعده خلاف آخر فنظم الخرّاز[19] من المتأخّرين بالمغرب أرجوزة أخرى[20]، زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا، وعزاه لناقليه، واشتهرت بالمغرب،

---

[15] اسم هذه القصيدة: عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وتعرف بالرائية وبالشاطبية الصغرى، عدد أبياتها 298 بيتا من البحر البسيط، من شروحها: الوسيلة إلى كشف العقيلة لعلم الدين السخاوي، شرح العقيلة الرائية لأبي شامة المقدسي، جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد للجعبري، الدرة الصقلية في شرح أبيات العقيلة للبيب، شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد في علم الرسم لابن القاصح، الهبات السنية العقلية على أبيات الشاطبية الرائية في الرسم للملا علي القاري. (ينظر: المنظومة الرائية في رسم المصحف للشاطبي وشروحها، عمر حمدان، مقال بمجلة معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان، 2017/32، ص167-216).

[16] هو سليمان بن نجاح أبو داود بن أبي القاسم الأموي مولى المؤيد بالله بن المستنصر الأندلسي شيخ القراءة وإمام الإقراء، أخذ القراءات عن أبي عمرو الداني ولازمه كثيرًا وسمع منه غالب مصنفاته وأخذ عنه مؤلفاته في القراءات وهو أجل أصحابه، توفي رحمه الله ببلنسية في 16 من رمضان سنة 496هـ. (ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، محمد ابن الجزري، 1/316-317).

[17] المذكور في كتب التراجم أنه من موالي بني أمية.

[18] من كتبه في الرسم: أصول الضبط، الجامع في الضبط للقراء السبعة من جميع طرقهم، الحروف التي اختلفت فيها مصاحف عثمان رضي الله عنه، رجز في علم نقط المصاحف، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، هجاء المصاحف. (ينظر: مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود سليمان بن نجاح، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة السعودية، 1423هـ/2002م، قسم الدراسة، 103-115).

[19] هو محمد بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الأَمَوي الشريشي، الشهير بالخراز، عالم بالقراءات، الإمام الفقيه العمدة الأستاذ الفاضل القدوة، له كتب منها: أرجوزة مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن، وشرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، عمدة البيان، وشرح على الحضرمية، توفي سنة 718هـ. (ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، 1/309. الأعلام، خير الدين الزركلي، 7/33).

[20] اسم هذه القصيدة: موارد الظمآن في رسم أحرف القرآن، عدد أبياتها 454 بيتا من بحر الرجز، اقتصر فيها على ما جاء في قراءة الإمام نافع المشتهرة ببلاد المغرب الإسلامي، من شروحها: التبيان في شرح موارد الظمآن لابن آجطّا، شرح المجاصي على الخراز في الرسم، إعانة المبتدئ والصبيان على معاني ألفاظ مورد الظمآن للسملالي، تنبيه العطشان على مورد الظمآن للشوشاوي، مجموع البيان في شرح ألفاظ مورد الظمآن للنزوالي، فتح المنان المروي بمورد الظمآن لابن عاشر، دليل الحيران على مورد الظمآن

واقتصر النّاس على حفظها، وهجروا بها كتب أبي داود وأبي عمرو والشّاطبيّ في الرّسم.

للمارغني، إرشاد الإخوان إلى شرح مورد الظمآن للضباع، لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن لأبو زيتحار. (مقدمة دراسة كتاب التبيان في شرح مورد الظمآن لابن آجطّا، دراسة وتحقيق عمر الثويني، إشراف عبد القيوم السندي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، الموسم الجامعي 1428-1429هـ، ص101، 103، 106، 111-120).

3- التفسير:

أ- نشأة التفسير وتطوره:

قال رحمه الله تعالى:

وأمّا التفسير: فاعلم أنّ القرآن نزّل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلّهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزّل جملا جملا وآيات آيات؛ لبيان التّوحيد والفروض الدّينيّة بحسب الوقائع، ومنها ما هو في العقائد الإيمانيّة، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدّم ومنها ما يتأخّر ويكون ناسخا له، وكان النّبيّ صلى الله عليه وسلم هو المبيّن لذلك كما قال تعالى: **{لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}** [النحل: 44]، فكان النّبيّ صلى الله عليه وسلم يبيّن المجمل[21]، ويميّز النّاسخ من المنسوخ[22]

---

[21] المجمل: هو الذي لم تتضح دلالته، أو هو ما له دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه. مثاله: القرء في قوله تعالى: {ثَلاثَةَ قُرُوءٍ} فالقرء يحتمل الحيض كما يحتمل الطهر. وبيان وتوضيح النبي صلى الله عليه وسلم لمجمل القرآن مثاله: قوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [النور: 56] وقوله {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران: 97] فقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نصب الزكاة في أنواعها. (ينظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1394هـ/1974م، 59/3، 62. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، 2000م، ص309).

[22] النسخ هو رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخٍ عنه. ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ} [البقرة: 106]، وعلى الآية وما يُعرف به النسخ، فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر. والمنسوخ هو الحكم المرتفع، فآية المواريث مثلًا أو ما فيها من حكم ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين. (ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1421هـ/2000م، ص238).

ويعرّفه أصحابه فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات[23]، ومقتضى الحال[24] منها منقولا عنه، كما علم من قوله تعالى: **{إِذا جاءَ نَصْرُ الله وَالْفَتْحُ}** [النصر: 1] إنّها نعي النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك، ونقل ذلك عن الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وتداول ذلك التّابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم، ولم يزل متناقلا بين الصّدر الأوّل والسّلف حتّى صارت المعارف علوما ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك، ونقلت الآثار الواردة فيه عن

---

[23] أسباب النزول: "هي ما نزلت الآيات القرآنية بسببه، متضمنة له، مبيّنة حكمه". (معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق سوريا، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، ص34).

وسبب النزول قاصر على أمرين: أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها، أن يُسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه. (ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص77).

[24] مقتضى الحال: "هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم". مثلا: "المدح، فهو حال تدعو المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإطناب؛ لأن مقام المدح يقتضي الإطالة في القول، والبسط فيه. وكذلك ذكاء المخاطب حال تدعو المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإيجاز؛ لأن مقام الذكاء يقتضي الاختصار في الكلام، وكل من صورتي الإطناب والإيجاز مقتضى الحال، واشتمال الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى، وهكذا يقال في كل حال من أحوال الخطاب". (المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1/28-29).

الصّحابة والتّابعين، وانتهى ذلك إلى الطّبريّ[25] والواقديّ[26] والثّعالبيّ[27] وأمثال ذلك من المفسّرين، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار، ثمّ صارت

---

[25] أ- التعريف بالإمام الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر الآملي، رأس المفسرين، أحد الأئمة، كان حافظا لكتاب الله، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن، عالما بأحوال الصحابة والتابعين، بصيرا بأيام الناس وأخبارهم، من كتبه: تفسيره جامع البيان وتهذيب الآثار وتاريخ الأمم واختلاف العلماء، توفي عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال سنة 310هـ. (ينظر: طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة مصر، الطبعة الأولى، 1396هـ، ص95-97).

ب- التعريف بتفسيره جامع البيان في تفسير القرآن وطريقته فيه:

يعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان في الوقت نفسه يُعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي.

تتجلَّى طريقة ابن جرير في تفسيره بكل وضوح إذا نحن قرأنا فيه وقطعنا في القراءة شوطاً بعيداً، فأول ما نشاهده، أنه إذا أراد أن يفسِّر الآية من القرآن يقول: "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا" ثم يفسِّر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية، وإذا كان في الآية قولان أو أكثر، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين. ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار. ثم إنه وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف. ويُكثر من رواية الإسرائيليات ويتعقب كثيراً منها بالنقد. (التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة مصر، 149/1-155).

[26] هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني الواقدي أبو عبد الله، مؤرخ، حافظ، قاض، حجة في الفقه والحديث، صنف التفسير اشتهر اسمه بتفسير الواقدي، توفي سنة 207هـ. (ينظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، ص29. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1409هـ/1988م، 594/2-595).

[27] أ- التعريف بالإمام الثعالبي: هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ويقال الثعالبي، المفسر المشهور النيسابوري، مفسر، حافظ للحديث، عالم بالعربية، له تصانيف مشهورة منها التفسير المسمى الكشف والبيان عن تفسير القرآن، توفي في المحرم سنة 427هـ. (ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت لبنان، 1400هـ/1980م، 238/1. معجم المفسرين، عادل نويهض، 62/1).

علوم اللّسان صناعيّة من الكلام في موضوعات اللّغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التّراكيب، فوضعت الدّواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب، فتنوسي ذلك وصارت تتلقّى من كتب أهل اللّسان، فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن؛ لأنّه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم، وصار التّفسير على صنفين.

ب- أنواع التفسير وأبرز المؤلفات فيها:

قال رحمه الله تعالى:

... وصار التّفسير على صنفين:

أ- تفسير نقليّ مسند إلى الآثار المنقولة عن السّلف وهي معرفة النّاسخ والمنسوخ وأسباب النّزول ومقاصد الآي[28]، وكلّ ذلك لا يعرف إلّا بالنّقل عن الصّحابة والتّابعين، وقد جمع المتقدّمون في ذلك وأوعوا، إلّا أنّ كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغثّ والسّمين والمقبول والمردود، والسّبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأمّيّة، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تتشوّق إليه النّفوس البشريّة في أسباب المكوّنات

ب- التعريف بتفسيره الكشف والبيان عن تفسير القرآن وطريقته فيه: يُفسِّر الإمام الثعلبي القرآن بما جاء عن السَلَف، مع اختصاره للأسانيد، اكتفاءً بذكرها في مقدمة الكتاب، ويعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسع ظاهر، كما أنه يعرض لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريفها، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي، ويتوسع في الكلام عن الأحكام الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام، فتراه يذكر الأقوال والخلافات والأدلة ويعرض للمسألة من جميع نواحيها، ثم إن هناك ناحية أخرى يمتاز بها هذا التفسير، هي التوسع إلى حد كبير في ذكر الإسرائيليات بدون أن يتعقب شيئاً من ذلك أو يُنبِّه على ما فيه رغم استبعاده وغرابته، ثم إنه لم يتحر الصحة في كل ما ينقل من تفاسير السَلَف، كذلك نجده قد وقع فيما وقع فيه كثير من المفسِّرين من الاغترار بالأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورة، فروى في نهاية كل سورة حديثاً في فضلها منسوباً إلى أُبَيّ بن كعب، كما اغتر بكثير من الأحاديث الموضوعة على ألسنة الشيعة فسوَّد بها كتابه دون أن يشير إلى وضعها واختلاقها. (ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، 1/165-167).

[28] هي "المعاني الأصليَّة التي نزل القرآن ببيانها وتحصيلها". (المقاصد القرآنية في سورة ق، حماد بن محمد يوسف، مجلة تدبر، السنة الرابعة، العدد الثامن، رجب 1441هـ - مارس 2020م، ص35).

وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التّوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النّصارى، وأهل التّوراة الّذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلّا ما تعرفه العامّة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير[29] الّذين أخذوا بدين اليهوديّة، فلمّا أسلموا بقوا على ما كان عندهم ممّا لا تعلّق له بالأحكام الشّرعيّة الّتي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحَدَثَان[30] والملاحم[31]، وأمثال ذلك، وهؤلاء مثل كعب الأحبار[32] ووهب بن منبّه[33] وعبد الله بن سلام[34] وأمثالهم، فامتلأت التّفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه

---

[29] حمير: بكسر الحاء وسكون الميم، قبيلة من بني سبأ من القحطانية، وهم بنو حمير بن سبأ، ومنهم كانت ملوك اليمن من التبابعة إلا من تخلل في خلال ملكهم في قليل من الزمن. (ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م، ص237).

[30] الحدثان: النوائب والحوادث. (ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1385هـ – 1422هـ/ 1965 – 2001م، 206/5).

[31] الملاحم جمع ملحمة، وهي الوقعة العظيمة القتل، وقيل: الحرب ذات القتل الشديد. (ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، 404/33).

[32] هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق، تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في زمن عمر، أخذ عن الصحابة، وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها سنة 32هـ. (ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، 228/5).

[33] هو وهب بن منبه الصنعاني الذماري أبو عبد الله، مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، من كتبه: ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، قصص الأنبياء، قصص الأخيار. ولد ومات بصنعاء سنة 114هـ. (ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، 125/8–126).

[34] هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف، صحابي، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله. شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. أقام بالمدينة إلى أن توفي سنة 43هـ. روي له 25 حديثا. (ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، 90/4).

الأغراض، أخبار موقوفة عليهم، وليست ممّا يرجع إلى الأحكام فيتحرّى في الصّحّة الّتي يجب بها العمل، وتساهل المفسّرون في مثل ذلك، وملأوا كتب التّفسير بهذه المنقولات، وأصلها كما قلناه عن أهل التّوراة الّذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلّا أنّهم بَعُدَ صيتهم وعظمت أقدارهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدّين والملّة، فتلقّيت بالقبول من يومئذ، فلمّا رجع النّاس إلى التّحقيق والتّمحيص، وجاء أبو محمّد بن عطيّة[35] من المتأخرين بالمغرب؛ فلخّص تلك التّفاسير كلّها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصّحّة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب

---

[35] هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي، وكان فقيها، عارفا بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيرا بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، من كتبه: التفسير المشهور المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي في 15 من رمضان سنة 541هـ. (ينظر: طبقات المفسرين، عبد الرحمن السيوطي، ص60-61).

والأندلس حسن المنحى[36]، وتبعه القرطبيّ[37] في تلك الطّريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق[38].

---

[36] يمثل هذا التفسير لونا من التفاسير المحررة الموجزة الجامعة في معانيها، المختصرة في تعبيرها، ويظهر ذلك واضحا من تسمية مؤلفه له: المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، وقد بهر ابن عطية بتفسيره العلماء في عصره وفيما بعد عصره. والناظر في هذا التفسير يجد أنه يذكر الآية ثم يفسرها تفسيرا سهلا شاملا مختصرا ثم يورد بعض ما يتصل بالآية مما ينتقيه من المأثور، وأكثر ما يختار منه من تفسير الطبري، وقد يعرج بالرد على رواية والانتقاد لمنقول. ويظهر في تفسيره الاهتمام باللغة العربية، والعناية باستخراج المعاني على اساس منها، كما أنه يذكر في أحيان كثيرة القراءات المختلفة ويستخرج المعاني المستنبطة على أساسها. وقد تأثر بتفسير ابن عطية كثير من مشاهير المفسرين كالقرطبي وابن حيان والثعالبي فاستفادوا منه ونقلوا عنه، وكان له في تفاسيرهم الأثر المحمود فيما يتصل بالمنهج، وفيها يتصل بالمضمون. (ينظر: مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1421هـ/2000م، ص125-126).

[37] هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجّه وعبادة وتصنيف، من كتبه: جامع أحكام القرآن والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة والكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، توفى في ليلة الاثنين 9 من شوال سنة 671هـ. (ينظر: طبقات المفسرين، عبد الرحمن السيوطي، ص92. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2/69-70).

[38] هذا الكتاب هو الجامع لأحكام القرآن، وقد ذكر الإمام القرطبي طريقته في مقدمة الكتاب، والذي يقرأ في هذا التفسير يجد أن القرطبي رحمه الله قد وفَّى بما شرط على نفسه في هذا التفسير، فهو يعرض لذكر أسباب النزول، والقراءات، والإعراب، ويبين الغريب من ألفاظ القرآن، ويحتكم كثيراً إلى اللُّغة، ويُكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، ويرد على المعتزلة، والقدرية، والروافض، والفلاسفة، وغلاة المتصوفة، ولم يسقط القصص بالمرة، بل أضرب عن كثير منها، ولهذا نلاحظ عليه أنه يروى أحياناً ما جاء من غرائب القصص الإسرائيلي. هذا.. وإن المؤلف رحمه الله ينقل عن السَلَف كثيراً مما أُثِر عنهم في التفسير والأحكام، مع نسبة كل قول إلى قائله وفاءً بشرطه، كما ينقل عمن تقدمه في التفسير، خصوصاً مَن أَلَّف منهم في كتب الأحكام، مع تعقيبه على ما ينقل منها. وممن ينقل عنهم كثيراً: ابن جرير الطبري، وابن عطية، وابن العربي، والكيا الهراسي، وأبو بكر الجصَّاص. وأما من ناحية الأحكام، فإنه يفيض في ذكر مسائل الخلاف ما تعلق منها بالآيات عن قُرْب، وما تعلق بها عن بُعْد، مع بيان أدلة كل قول، ولا يتعصب لمذهبه المالكي، بل يمشى مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أياً كان قائله. وعلى الجملة .. فإن القرطبي رحمه الله في تفسيره هذا حُرٌ في بحثه، نزيهٌ في نقده، عفٌ في مناقشته وجدله، مُلِمٌ بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن استطرد إليه وتكلَّم فيه. (ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، 2/337-341).

ب- والصّنف الآخر من التّفسير، وهو ما يرجع إلى اللّسان من معرفة اللّغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، وهذا الصّنف من التّفسير قلّ أن ينفرد عن الأوّل؛ إذ الأوّل هو المقصود بالذّات، وإنّما جاء هذا بعد أن صار اللّسان وعلومه صناعة، نعم قد يكون في بعض التّفاسير غالبا، ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفنّ من التّفاسير كتاب الكشّاف

للزّمخشريّ[39] من أهل خوارزم[40] العراق، إلّا أنّ مؤلّفه من أهل الاعتزال[41] في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن

[39] أ- التعريف بالزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً، له التصانيف البديعة منها الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة، توفي ليلة عرفة سنة 538هـ. (ينظر: طبقات المفسرين، عبد الرحمن السيوطي، ص120-121).

ب- التعريف بتفسيره الكشاف وطريقته فيه:

اسم الكتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

وهذا التفسير -بصرف النظر عما فيه من الاعتزال- تفسير لم يُسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما ظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، وليس كالزمخشري مَن يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم، لا سيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب، والمعرفة بأشعارهم، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي والأدبي على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء وعلَّق به قلوب المفسِّرين.

وعندما يلقي الإنسان نظرة فاحصة على العمل التفسيري الذي قام به العلاّمة الزمخشري في كشَّافه، يظهر له من أول وهلة، أن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية كان في تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته والإتيان بأقصر سورة من مثله.

كذلك نرى الزمخشري -كغيره من المعتزلة- إذا مَرَّ بلفظ يشتبه عليه ظاهره ولا يتفق مع مذهبه، يُحاول بكل جهوده أن يُبطل هذا المعنى الظاهر، وأن يُثبت للفظ معنى آخر موجوداً في اللغة.

كذلك نرى الزمخشري يعتمد في تفسيره على الفروض المجازية في الكلام الذي يبدو في حقيقته بعيداً وغريباً.

والمبدأ الذي يسير عليه الزمخشري في تفسيره ويعتمد عليه عندما تصادمه آية تخالف مذهبه وعقيدته، هو حمل الآيات المتشابهة على الآيات المحكمة، فإذا مَرَّ بآية تُعارِض مذهبه، وآية أخرى في موضوعها تشهد له بظاهرها، نراه يَدَّعى الاشتباه في الأولى والإحكام في الثانية، ثم يحمل الأولى على الثانية وبهذا يُرضى هواه المذهبي، وعقيدته الاعتزالية.

هذا.. وإن الزمخشري لينتصر لمذهبه الاعتزالي، ويؤيده بكل ما يملك من قوة الحُجَّة وسلطان الدليل، وهو يحرص كل الحرص على أن يأخذ من الآيات القرآنية ما يشهد لمذهبه، وعلى أن يتأوَّل ما كان منها معارضاً له.

ثم إن الزمخشري مُقِلٌ من ذكر الروايات الإسرائيلية، وما يذكره من ذلك إما أن يُصَدِّره بلفظ "روي"، المُشعر بضعف الرواية وبُعدها عن الصحة، وأما أن يُفَوِّض علمه إلى الله سبحانه، وهذا في الغالب يكون عند ذكره للروايات التي لا يلزم من التصديق بها مساس بالدين، وإما أن يُنَبِّه على درجة الرواية

من طرق البلاغة، فصار ذلك للمحقّقين من أهل السّنّة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلّق باللّسان والبلاغة، وإذا كان النّاظر فيه واقفا مع ذلك على المذاهب السُّنّيّة، محسنا للحجاج عنها؛ فلا جرم إنّه مأمون من غوائله، فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللّسان، ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليفٌ لبعض العراقيّين –وهو شرف الدّين الطّيبيّ[42]، من أهل توريز من عراق العجم– شرحَ فيه كتاب

ومبلغها من الصحة أو الضعف ولو بطريق الإجمال، وهذا في الغالب يكون عند الروايات التي لها مساس بالدين وتَعلُّق به.

(ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، 306/1–340).

[40] خوارزم منطقة في آسيا الوسطى، تقع عند المجرى الأدنى لنهر جيحون. تحدها من الشرق صحراء "قزيل كوم"، التي تفصلها عن "ما وراء النهر". وتفصلها من الغرب صحراء قراقوم عن خراسان. وتتلاقى في جنوبها الصحراوان حيث ينفذ نهر جيحون. وتقف حدودها الشمالية عند شواطئ بحر خوارزم (آرال). وتقع اليوم في غرب أوزبكستان. وتعد مدينتا كاث التي تقع على الجانب الشرقي (التركي) من نهر جيحون، والجرجانية التي تقع على الجانب الغربي (الفارسي) من النهر، من أهم مدن خوارزم ذات الحضارة. فمدينة الجرجانية أو "كركانج أو أركنج أو أوركنج"، سماها العرب الجرجانية، وكانت تعد درة إقليم خوارزم الثانية، وكانت تعرف بوجه عام بمدينة خوارزم. (ينظر: خوارزم تاريخ وحضارة، راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام، https://islamstory.com، تاريخ الاطلاع: 2 جانفي 2024م، الساعة 12:40).

[41] "المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية". (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1420هـ، 64/1).

[42] هو الحسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطّيبيّ، الإمام المشهور العلّامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان، كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلا على نشر العلم متواضعا حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مظهرا فضائحهم، شديد الحب لله ورسوله، كثير الحياء، ملازما لأشغال الطلبة في العلوم الإسلاميّة بغير طمع، بل يخدمهم ويعينهم، من كتبه: حاشية على الكشاف اسمها فتوح الغيب في الكشف عن مواضع الريب، والتبيان في المعاني، وشرح مشكاة المصابيح، توفي يوم الثلاثاء 13 من شعبان سنة 743هـ. (ينظر: طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، 146/1–147. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، ص277–278).

الزّمخشريّ[43] هذا، وتتبّع ألفاظه، وتعرّض لمذاهبه في الاعتزال بأدلّة تزيّفها، ويبيّن أنّ البلاغة إنّما تقع في الآية على ما يراه أهل السّنّة لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة.

{وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف: 76].

[43] كتاب الطيبي عبارة عن حاشية أو شرح على تفسير الكشاف، سماه مؤلفه فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. قال في مقدمته: "فقد استخرت الله –مع قلة البضاعة، وقصور الباع في الصناعة– لتصدي شرح مجمله، وحل معضله، وتلخيص مشكله، وتخليص مبهمه، وفسر عويصه، وفك عقوده المورية، وتبين قيوده المكربة، وانتهاض إحراز قصبات عيون التفاسير، للعلماء النحارير، وخلاصة أفكار المحققين، ونقاوة أنظار المتبحرين، المتقدمين منهم والمتأخرين، لتسهيل وعره، وتيسير صعبه، بعد تتبع مظان العلمين المختصين بالقرآن آونة من الأزمان، والإتقان على الأساليب البديعية، والأفانين البيانية، وتحصيل غرائب اللغة ما لا يكاد إحصاء، ولطائف الإعراب ما لا يضبط إملاء، وعلى نكات علم أصول الدين: فقهه وكلامه، واستنباط فروعه وأحكامه، ولم آل جهداً في جهات المنقول استناداً إلى الأصول، وانتساب القراءات المشهورة والشاذة، وبيان وجوهها، وكشف ستورها.

هذا: وإن أصعب السبل تقييد القيود المبهمة؛ فإنه بلغ في الغموض وراء حد حل الإلغاز. وهو الذي يعجز الناظر فيه كل الإعجاز. ولم أقتصر على ذلك، بل جمعت معارضات عظماء الشرق، ومناقضات فضلاء الغرب، وتجنبت التعصب في الرد إلا فيما لم يساعد عليه النص القاهر، والنظم الباهر.

وعثرت بعد طول المباحثات على أن معرفة إبراز النظم هي أعظم المطالب، وأسنى المقاصد والمآرب، فإنها مسبار البلاغة، ومعيار البراعة؛ إذ بها تنتقد الأقاويل، ويرجح تأويل على تأويل". (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الحسن بن عبد الله الطيبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م، 1/611–612).